برنامج أنوار كاشفة **سفر الجامعة** **الحلقة السادسة والعشرون**

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. بدأنا قبل عدة لقاءات بدراسة سفر الجامعة لسليمان الحكيم، والذي يُعتبر من أسفار الحكمة. وقد عالج هذا السفر معضلة مشاعر الإحباط واليأس عند الإنسان، حيث أكد أن كل شيء بعيد عن الله هو باطل وقبض الريح.

تابع سليمان الحكيم في اللقاء الماضي تقديم مشورته العملية. فتكلّم عن القيمة الثمينة للحكمة في حياتنا، وأنه لا يجوز لنا مدح الماضي وذم الحاضر. وأن لله سلطاناً على خليقته، ولا أحد يقدر إبطال مشيئته. وأن على الإنسان أن يشكر الله على يوم الخير ويعتبر في يوم الشر.

مستمعي الكريم: هل تنظر إلى نفسك بأنك إنسان صالح ومهذّب؟ وهل تحاول تطبيق المبادئ الأخلاقية السامية على حياتك؟ أولا تشعر أحياناً كثيرة بتناقض بين ما تعتقد به من مثل عليا ومبادئ سامية، وبين ما تمارسه في حياتك العملية؟ فأنت تجد نفسك في أحيان كثيرة، عاجزاً عن السير في طريق الصلاح. أجاب سليمان الحكيم في سفر الجامعة عن كل هذه التساؤلات، وقدّم لنا مشورته العملية في هذا المجال، فكتب قائلاً: **« قد رأيت الكلَّ في أيام بُطلي. قد يكون بارٌّ يبيد في برّه، وقد يكون شرير يطول في شرّه»** (الجامعة٧:١٥).

تحدّث سليمان الحكيم أولاً عن ملاحظاته الشخصية، فقد اكتشف تناقضات الحياة. ومن هذه التناقضات أن الإنسان الصالح قد يهلك أي يموت، بسبب برّه. بينما الشرير قد يعيش طويلاً بالرغم من شرّه. وكأن السير في الصلاح أو في فعل الشر، لا علاقة لهما بعمر الإنسان. لعل السؤال الآن هو: هل من الممكن أن يموت الإنسان بسبب برّه؟ للإجابة نقول: إن المقصود هنا هو البر الذاتي، وتزمّت الإنسان الأعمى في تطبيق المبادئ الأخلاقية، إلى درجة يذهب فيها بعيداً في التطرف، حتى يؤذي نفسه. بينما البر الحقيقي نكتسبه من الله، الذي يجعلنا نعرف كيف نسلك.

ثم قدّم سليمان الحكيم نصيحته العملية لنا فقال: « **لا تغال في برّك، ولا تبالغ في حكمتك. إذ لماذا تُهلكُ نفسكَ؟ لا تُفرطْ في شرّك ولا تكن أحمقَ. لماذا تموتُ قبل أوانك؟ حسنٌ أن تتشبث بهذا، وأن لا تفرِّط في ذاكَ، لأن متّقي الله يتفادى التّطرف في كليهما»** (الجامعة٧:١٦-١٨ تفسيرية). علينا أن نعلم في البداية أن الحكيم ينطلق هنا من مفهوم الشريعة التي أنزلها الله على كليمه

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠١٠-٢٠٠٣
Copyright 2003-2010 Arabic Broadcasting Service

موسى، إذ لم يكن المخلص المسيح قد أتى، ولم تكن نعمة الله للخاطئ قد أُعلنت. وهنا يوجّه كلامه إلى أولئك الناس الذين يريدون تطبيق الشريعة بقوتهم الذاتية، ومن دون الاعتماد على الله.

لهذا نجد سليمان الحكيم ينصح أمثال أولئك الناس، أن لا يتطرّفوا أو يتزمتوا في برّهم. وأن لا يبالغوا حتى في حكمتهم، لأن ذلك سيؤدي إلى هلاك نفوسهم. هل تعلم مستمعي أنه حتى أكل العسل الكثير يضر بأجسادنا؟ كتب سليمان الحكيم في أمثاله: **« أوجدت عسلاً فكل كفايتك لئلا تتّخم فتتقيأه»** (أمثال٢٥:١٦). وفي نفس الوقت دعا الحكيم الشرير أن لا يفرط أو يكثر من شره، والجاهل أن لا يغدو أحمقاً، لكي لا يموت في مقتبل العمر. إذن إن الحل بالنسبة لسليمان الحكيم هو تفادي التطرف، أي التوازن والاعتدال. لأن هذه هي صفة الذي يتّقي الله. وإلا لأغرق المرء نفسه في التزمت الأعمى الذي يؤدي به إلى الهلاك.

أليس هذا ما يفعله الكثيرون حتى في أيامنا هذه؟ فهم يحاولون تطبيق المبادئ الأخلاقية الرفيعة على حياتهم، فيصطدمون بصخرة الواقع المؤلم، إذ يكتشفون عدم استطاعتهم ذلك. فيغالي بعضهم في التطرف، ظناً منهم أن ذلك سيساعدهم في تحقيق مبتغاهم، لكن النتيجة تكون ضياع حياتهم.

صديقي المستمع، لعل السؤال الآن: هل الحل الذي طرحه سليمان الحكيم يبقى ناجعاً بعد مجيء المخلص المسيح، وإعلانه لنعمة الله المخلّصة لنا نحن البشر الخطاة؟ أولا يوجد حل آخر نتفادى فيه التطرف الذي يؤدي بنفوسنا إلى الهلاك؟ أجابنا الرسول بولس من رسل المسيحية الأوائل، شارحاً مشكلة عدم قدرة الإنسان تطبيق شريعة الله، أو المبادئ الأخلاقية فقال: **« فإننا نعلم أن الناموس روحي وأما أنا فجسدي مبيع تحت الخطية.. لأني لست أفعل الصالح الذي أريده، بل الشر الذي لست أريده فإياه أفعل»**(رومية٧:١٤، ١٩).

أوضح لنا الرسول بولس عن التناقض الكبير الواقع بين رغبة الإنسان في تطبيق شريعة الله وفعل الصلاح، واكتشافه عدم قدرته في تحقيق ذلك. والسبب هو أن الخطيّة هي التي تستعبده وتمتلك نفسه، ولا يستطيع إلا أن يفعل الشر الذي لا يريده.

وفي ختام معالجته لهذه المشكلة، عبّر الرسول بولس عن يأسه، إذ هتف متسائلاً: **« ويحي أنا الإنسان الشقي. من ينقذني من جسد هذا الموت؟»** (رومية٧:٢٤) لكنه أضاف مجيباً: **« أشكر الله بيسوع المسيح ربنا»** (رومية٧:٢٥) أي أن المخلص المسيح

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠١٠-٢٠٠٣
Copyright 2003-2010 Arabic Broadcasting Service

هو منقذه الحقيقي من عبوديّة الخطية. وأضاف الرسول بولس شارحاً: **« لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد أعتقني من ناموس الخطيّة والموت. لأنه ما كان الناموس عاجزاً عنه في ما كان ضعيفاً في الجسد، فالله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية ولأجل الخطية دان الخطيّة في الجسد»** (رومية٨:٢-٣) فماذا قصد الرسول بولس هنا؟

أجل إن المخلص المسيح بمجيئه وموته الكفاري على الصليب نيابة عنّا، استطاع أن يعتق الإنسان من عبودية الخطية، وأن يقلب الوضع رأساً على عقب. وهكذا صار بإمكان أي شخص يؤمن بهذا المخلص الفريد أن يتحرر من عبودية الخطية، وأن يطبّق الشريعة الإلهية والمبادئ الأخلاقية بدون أي تطرف. إن الحل إذن هو اللجوء إلى المخلص المسيح، الذي وحده يقدر أن يحررنا من عبودية الخطية، ويجدد حياتنا من الداخل، ويمنحنا القوة الروحية، التي نستطيع بها أن نطبّق المبادئ الأخلاقية في حياتنا. فهل تراك مستمعي تؤمن بهذا المخلص الفريد، فتحصل على النجاة الحقة وتنقذ نفسك من الهلاك؟

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠١٠-٢٠٠٣
Copyright 2003-2010 Arabic Broadcasting Service